

بحار الأنوار

[42] الملك، والملك له وجوه أربعة: القدرة والهيبة والسلطة والامر والنهي فأما القدرة فقوله تعالى: " إنما أمرنا لشي إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " (1) فهذه القدرة التامة التي لا يحتاج صاحبها إلى مباشرة الأشياء، بل يخرعها كما يشاء سبحانه ولا يحتاج إلى التروي في خلق الشيء بل إذا أرادته صار على ما يريد من تمام الحكمة، واستقام التدبير له بكلمة واحدة، وقدرة قاهرة بان بها من خلقه. ثم جعل الامر والنهي تمام دعائم الملك ونهايته وذلك أن الامر والنهي يقتضيان الثواب والعقاب والهيبة، والرجاء والخوف، وبهما بقاء الخلق، وبهما يصح لهم المدح والذم، ويعرف المطيع من العاصي، ولو لم يكن الامر والنهي لم يكن للملك بهاء ولا نظام، ولبطل الثواب والعقاب، وكذلك جميع التأويل فيما اختاره سبحانه لنفسه من الاسماء. وقد اعترض على ذلك بأن قيل: قد رأينا أصنافا من الحيوان لا يحصى عددها يبقى ويعيش بغير أمر ولا نهى، ولا ثواب لها ولا عقاب عليها، وإذا جاز أن يستقيم بقاء الحيوان المستبهم، ولا آمر له ولا ناهي، بطل قولكم: إنه لا بد للناطقين من آمر وناه، وإلا لم يبقوا. والرد عليهم هو أن الله تعالى لما خلق الحيوان على ضربين: مستبهم وناطق أطلق للنوع المستبهم أمرين، جعل قوامه وبقائه بهما، وهو إدراك الغذاء ونيله وعرفانهم بالنافع والضار بالشم والتنسيم، وإنما أنبت عليهم من الوبر والصوف والشعر والريش ليكونهم من البرد والحر، ومنعهم أمرين النطق والفهم، وسخرهم للحيوان الناطق العاقل وغير العاقل أن يتصرفوا فيهم، وعليهم، كما يختارون، ويأمرون فيهم وينهون، ولم يجعل في الناطقين معرفة الضار من الغذاء، والنافع بالشم والتنسيم حتى أن أفهم الناس وأعقلهم لو جمعت الناس له ضروب الحشائش من النافع والضار والغدا والسم لم يميز ذلك بعقله وفكره، بل من جهة موقف فقد احتاج العاقل

(1) النحل: 40.